الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين-.

أما بعد:

فإن المصنِّف -رحمه الله- لما أنهى ذكر فضائل الذكر على ضوء ما دلَّ عليه كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، شرع في ذكر فضائل الذكر في الصباح والمساء، تحدَّث أولًا عن فضائل الذكر عمومًا، ثم عَقَدَ فصلًا عن فضائل أذكار الصباح والمساء، وذلك أن لذكر الله -تبارك وتعالى- في هذين الوقتين في الصباح والمساء شأنًا خاصًّا ومكانةً عظيمة، بل كما نبَّه العُلماء -رحمهم الله- إن أوسع الأذكار ورودًا في نصوص الكتاب والسنَّة؛ أذكار الصباح والمساء.

وقد جاء في الترغيب في ذكر الله -تبارك وتعالى- في هذين الوقتين، دلائل كثيرة وأحاديث عديدة، وجاء أيضًا أنواع من الأذكار والأدعية والدعوات، يُرغَّب في العناية بها، والمحافظة عليها في هذين الوقتين الفاضلين في الصباح والمساء.

الصباح الذي هو: الوقت الذي يسبق طلوع الشمس، والمساء: الوقت الذي يسبق غروبها، قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، من بعد صلاة الصبح إلى ما قبل طلوع الشمس، ومن بعد صلاة العصر إلى ما قبل غروبها، فهذان وقتان فاضلان لذكر الله -تبارك وتعالى-، وقد جاء في النصوص أنواعٌ كثيرة من الدعوات والأذكار التي يُشرع للمسلم أن يقولها في هذين الوقتين الفاضلين. وسنقف في هذا الفصل الذي عقده شيخ الإسلام -رحمه الله- على جملة من النصوص، أولًا: في الترغيب في ذكر الله -تبارك وتعالى- في هذين الوقتين، ثم بعد ذلك ذكر أنواع النصوص الدالة على الأذكار والدعوات المشروعة في هذين الوقتين.

(المتن)

فصل في ذكر الله تعالى طرفي النهار

قال الله –تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٤]. الأصيل: ما بين العصر إلى المغرب.

(الشرح)

قال –رحمه الله–: **فصل في ذكر الله –تعالى– طرفي النهار**، طرفا النهار أوله وآخره، أوّل النهار وآخر النهار؛ يُقال لهما: طرفا النهار، أي: أول النهار وآخر النهار، ما يُبدأ به النهار وما يُختم، وأول النهار: هو الوقت الذي يسبق طلوع الشمس، وآخر النهار: هو الوقت الذي يسبق غروبها، فهذان الوقتان يُقال لهما: طرفا النهار أي: أول النهار وآخر النهار. فالنهار له طرفان، طرفٌ في أوله، وطرف في آخره، وهذان الوقتان هما خير أوقات الذكر وأفضلها، وأعظمها شأنًا.

وقد جاء في الترغيب في ذكر الله –تبارك وتعالى– في هذين الوقتين نصوصٌ مُتكاثرة أورد شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– طرفًا منها، وشيئًا يسيرًا منها وإلا قد ورد في نصوص الكتاب والسنّة دلائل كثيرة فيها الترغيب والحثُّ على ذكر الله –تبارك وتعالى– في هذين الوقتين.

الوقت الأول: أول النهار، وهو كما عرفنا من بعد صلاة الصبح إلى ما قبل طلوع الشمس، ولو أن الإنسان عرض له عارض، أو حصل له صارف، فلم يتهيأ له الذكر في هذا الوقت فلا بأس أن يأتي بهذه الأذكار ولو بعد طلوع الشمس، فالذي ينبغي عليه أن يأتي بها في وقتها، لكن لو فُرض أنه عرض له عارض، أو حصل له أمر صرفها أو نحو ذلك، فلا بأس أن يأتي بها بعد طلوع الشمس.

وأذكار المساء من بعد صلاة العصر إلى ما قبل غروب الشمس، وهكذا أيضًا لو عرض له عارض فلم يتمكن من الإتيان بها في هذا الوقت، فلا بأس أن يأتي بها بعد غروب الشمس.

قال: **فصل في ذكر الله تعالى طرفي النهار**، ثم أخذ –رحمه الله– يسوق الأدلَّة من كتاب الله –عز وجل– المشتملة على الترغيب في ذكر الله –عز وجل– في هذين الوقتين الفاضلين.

بدأ أولًا بقول الله –سبحانه وتعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا*وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذه الآية مرَّت معنا في أوائل الكتاب لما فيها من الحثّ على ذكر الله –تبارك وتعالى–، وأوردها مرَّة ثانية هنا؛ لأن فيها التنصيص على هذين الوقتين وذلك في قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، والبُكرة: هي أول النهار الذي هو البكور، الذي قال عنه النبي –عليه الصلاة والسلام– في حديثه الصحيح: «**بُورِكَ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**»، فالبكور: هو أول النهار، أول النهار وبدايته، وشأن أول النهار شأنٌ عظيم لأنه مفتاح اليوم وبداية اليوم، وما يكون من الإنسان في أوّل نهاره ينسحب على بقيَّة النهار مثل ما قال بعض العُلماء قال: **أوَّل النهار شبابه، وآخر النهار شيخوخته، ومن شبَّ على شيءٍ شاب عليه**، يعني: الذي يكون عليه الإنسان في الصباح الباكر هو الذي يكون عليه طيلة اليوم إلى نهايته، فما يكون في أول النهار؛ ينسحب على بقيَّة اليوم، إن نشاطًا فنشاط، وإن كسلًا فكسل، إذا كان في أول النهار خمولًا كسولًا فاترًا، فإن هذا ينسحب على بقيَّة يومه، ولهذا جاء في الحديث: «**وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانًا**»، هكذا يُصبح شأنه، وإذا كان في أول النهار في همَّة، وفي نشاط، وفي جدٍ واجتهاد، ونُصحٍ للنفس، ومحافظة على الأذكار، فإن هذا ينسحب على بقيَّة اليوم، ولهذا أحد السلف قال قديمًا كلمة جميلة جدًا في التنويه بأهمية أول اليوم ومكانته، قال أحد السلف: يومك مثل جَمَلك، **إن أمسكت أوّله تبعك آخره**، يعني: إذا أمسكت أول اليوم تبعك آخر اليوم، وإذا ضيَّع الإنسان أول اليوم الذي وقت البركة والبكور والفضيلة وحلول الأرزاق؛ فإن يومه يضيع، وما كان منه في بكوره ينسحب

على بقيَّة يومه. ولهذا كان متأكدًا على المسلم ألا يُضيّع هذا اليوم، ألا يُضيّع أول اليوم بالخمول والكسل والفتور، وما كان السلف يعرفون النوم بعد صلاة الفجر، حتى يقول ابن القيم: لو كانوا في سفر طول الليل وفي عناء وفي شدَّة لا ينامون بعد الفجر، ينتظرون حتى تطلع الشمس، ثم ينامون، كل ذلك محافظة على هذا الوقت الفاضل الذي هو من بعد صلاة الفجر إلى ما قبل طلوع الشمس، هذا وقت مبارك ووقت فاضل ووقت ذكر لله -تبارك وتعالى-، وما كان السلف -رحمهم الله- يقضونه في نوم، أو في كسل، أو في فتور أو نحو ذلك، وإنما كانوا يحافظون فيه على الأذكار، ذكر الله ولا سيما التسبيح ونحو ذلك من الأذكار التي وردت في الشرع، وستأتي معنا جملة طيبة منها في هذا الكتاب.

وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي وائل شقيق بن سلمة يقول: **صلينا الصبح ثم ذهبنا إلى ابن مسعود**، ذهبوا إليه في بيته لزيارته، قال: **واستاذنا في الدخول**، طلبنا الإذن في الدخول، **فاستأذنت لنا الجارية، فأُذن لنا في الدخول، أذن لنا ابن مسعود أن ندخل ولكننا انتظرنا قليلًا**، يعني: بعد الإذن انتظروا قليلًا، ثم دخلوا، فلما دخلوا على ابن مسعود: قال: **مالكم تأخرتم في الدخول وقد أُذن لكم؟** قال: **قولنا: ظننَّا أحدًا من أهل البيت نائم، فانتظرنا قليل**، يعني: انتظروا قليل حتى يُرتّب لهم الطريق، فقال -رضي الله عنه-: **أظننتم بآل ابن أم عبدٍ غفلة**، يعني: هل ظننتم عندنا غفلة، معنى ذلك: أن ما أحد ينام عندهم في هذا الوقت، لا هو ولا أولاده، لا يُعرف النوم عندهم في هذا الوقت، قال: **أظننتم بآل ابن أم عبد غفلة! ثم أخذ يُسبّح إلى أن قال للجارية: أُنظري، أطلعت الشمس؟، فنظرت فقالت: لم تطلع، قال: فأخذ يُسبح، ثم قال للجارية: أُنظري، أطلعت الشمس؟، قالت: نعم**، قال كلمة عجيبة!، قال: **الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ولم يُهلكنا بذنوبنا**، انتبهوا للكلمة! قال: **الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ولم يُهلكنا بذنوبنا**، عندما قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: **الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ولم يُهلكنا بذنوبنا**، هل اليوم انتهى أو لازال في أوله؟ لاحظ معي الآن! مجرد ما طلعت الشمس، وهو على التسبيح يُسبح الله، حمد الله بهذه الصيغة قال: **الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا**، اليوم بقي أكثره، ما زال في أول اليوم، فلماذا قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: **الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا؟** لماذا قال هذه الكلمة؟ أظن الجواب معروف لدينا أجمعين، لأن من حفظ أول اليوم؛ حُفظ له اليوم كله، ولهذا قال مجرد ما أنه حُفظ أول اليوم بالذكر والتسبيح إلى أن طلعت الشمس، حمد الله بهذه الصيغة، قال: **الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا** مع أن اليوم مازال، بقي وقت طويل، بقي الضُحى وبقي الظهر وبقي العصر وبقي وقت طويل جدًّا، ما مضي من اليوم إلا جزء يسير جدًّا، ومع ذلك يقول: **الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ولم يُهلكنا بذنوبنا**.

هذا نأخذ منه فائدة جليلة مهمة: أن من حفظ أول اليوم؛ حُفظ له باقيه، من سلم له أول يومه؛ سلم له بقية يومه، وهذا هو سر محافظة السلف -رحمهم الله- على أول اليوم وعدم إضاعته، السلف -رحمهم الله- عرفوا قيمة أول اليوم فكان لهم معه شأن، والناس في الأوقات المتأخرة والأزمنة المتأخرة لم يعرفوا قيمة هذا الوقت فكان لهم معه شأنٌ آخر، ربما أن أفضل أوقات النوم عند كثير من الناس في هذا الزمان بعد الفجر، ولا يمكن أن يُضيع النوم بعد الفجر حتى لو كان لنصف ساعة، حتى لو كان عنده دوام أو عنده عمل فما يكفي إلا أن ينام نصف ساعة ينام، مع أنها ما تفيده شيئًا، تُرخي جسمه، وتُضعف بدنه، ولا تُعطيه نشاطًا، ولا يترتب عليها له فائدة، بل تُسبب له ارتخاءً وفتورًا وكسلًا، ومع ذلك تجده لا يُفرِّط فيها، مع أن أصل هذا الوقت يُحفظ في ذكر الله -تبارك وتعالى-.

فالشاهد أن السلف -رحمهم الله- عرفوا قيمة هذا الوقت الفاضل، وعرفوا مكانته، عرفوا منزلته، فكانوا يحفظونه بذكر الله -تبارك وتعالى-، من هنا نقول ينبغي علينا جميعًا أن نتعلم الأذكار المشروعة المأثورة الثابتة عن رسولنا -عليه الصلاة والسلام- والتي

يُستحب لنا أن نقولها في الصباح الباكر، ونعوِّد أنفسنا عليها كل يوم حتى يُصبح هذا أمرًا مُعتادًا مألوفًا للإنسان لا يستطيع أن ينفكَّ عنه، ولا يستطيع أن يتركه يعوِّد نفسه على ذلك ويداوم عليه، فيكون بذلك من المحافظين على ذكر الله –تبارك وتعالى– في أول النهار. وهكذا أيضًا في آخر النهار وهو الوقت الذي بعد صلاة العصر إلى قبل غروب الشمس، أيضًا له أذكاره المشروعة في سنَّة النبي الكريم –عليه الصلاة والسلام–، وسنقف بإذن الله –تبارك وتعالى– على جُملةٍ منها.

أورد قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا*وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً﴾ ﴿بُكْرَةً﴾ أي: أول النهار. ﴿وأصيلًا﴾: قال شيخ الإسلام: الأصيل: ما بين العصر إلى المغرب، يعني: من بعد صلاة العصر إلى ما قبل الغروب، هذا الوقت يُقال له: الأصيل، والله –عز وجل– أمرنا أن نُسبِّح فيه، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وتارةً يُشار إلى هذا الوقت بهذا اللفظ الأصيل، وتارة يُشار إليه قبل الغروب مثل ما سيأتي معنا في بعض الآيات، ويُشار إليه أيضًا بألفاظٍ أخرى ربما يأتي شيئًا منها.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

(الشرح)

كذلك هذه الآية الكريمة سبق أن مرَّت معنا في فضل الذكر والترغيب فيه، وعرفنا أن هذه الآية جُمع فيها بين الأمر بالذكر وهو في أولها ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾، والنهي عن ضده وهو في آخرها ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾، واشتملت في الوقت نفسه على جملة طيبة من آداب الذكر ينبغي أن نتعلمها، ولنقف عليها واحدةً واحدة.

الأدب الأول: في قوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ فمن آداب الذكر إخفاؤه، وأن يكون ذكرك لله –تبارك وتعالى– في نفسك، يعني تُخفيه، لا تحاول أن تُظهره للناس أو أن تبديه للناس وإنما هو ذكر عبادة منك لله –تبارك وتعالى– بينك وبين الله تخفيه، وليس المراد بقوله: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ أن يكون الذكر في القلب فقط، ليس هذا المراد، ولهذا جاء في الآية نفسها قال: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هذا فيه إشارة إلى ماذا؟ إلى حركة اللسان، حرِّك لسانك بالذكر ولكن لا تجهر، وإنما يكون مخافتةً، تحرك لسانك بالذكر مخافتة، بصوتٍ خافت، ولا تجهر به، فهذا من آداب الذكر أن يكون في نفسك مخافتةً.

وهذا كما قال العلماء: أبعد من الرياء، وإظهار النفس أمام الناس بالذكر، ولهذا بعض العلماء أخذ من هذه الآيات ونظائرها أن الخير للإنسان أن يبتعد عن استعمال آلة في التسبيح، مثل سُبحة أو نحو ذلك؛ لأنه إذا كانت الآلة بيده ويُحركها فهذا يتنافى مع الخُفية والإخفاء، وأمرٌ آخر قد يكون يحركها على عادته، يلهو بها، يُحركها لهوًا لا يسبح، فيُحمد بما لم يفعل، تجده على عادته يُحرِّك السبحة ولكنه غافل، ربما يكون تاجر من التجار ويحرِّك السبحة ويحسب الحسابات والأرباح التجارية، وهو يُحرك السبحة غافل، لكن يده اعتادت على تحريكها، فيُحمد بما لم يفعل، ولهذا كان –عليه الصلاة والسلام– ما يستخدم آلة مع وجود الخرز في زمانه ووجود الخيوط، ما كان يستخدمها ولا كان الصحابة أيضًا كذلك، فالسنَّة كما يدل عليها القرآن وكما يدل عليها أحاديث النبي –عليه الصلاة والسلام– أن يذكر الإنسان ربَّه في نفسه، قدر ما تستطيع تُخفي الذكر، حتى بعض العلماء نبَّه على فائدة لطيفة فيما يتعلق بذكر الله بكلمة التوحيد **لا إله إلا الله**، قال أحد العلماء: ليس في حروف لا إله إلا الله حرفٌ شفوي،كلها حروف ليست شفوية، ولهذا يستطيع أن يحرك الإنسان لسانه بـ لا إله إلا الله ومن يراه لا يشعر بأنه يشتغل بالذكر، تقول: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله الفم ما يتحرك، والشفاه ما تتحرك ثابتة كما هي ولسانك يتحرك، فليس فيها حرف شفوي، هذا كله فيما

يتعلق بإخفاء الذكر وأهميته، وكان أن أفضل ألفاظ الذكر وأعظم ألفاظ الذكر شأنًا وهي كلمة التوحيد، تستطيع أن تحرك لسانك بها ما شئت ومن عندك لا يشعر بك، على كل حال ينبغي مراعاة هذا الأدب.

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يعني لا يشعر أحد بك، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ لكن لو استخدم الإنسان آلة من حوله شعروا به وقالوا: هذا يُسبح، وإن كان يحرك الآلة بيده ولا يُسبح هذه مصيبة ثانية، يُحمد بما لم يفعل، يُظن أنه يُسبح وهو ليس مسبِّحًا، فعلى كل حال الله -عز وجل- يقول: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾ والتضرُّع هذا فيه الإلحاح والمداومة والاستمرار على ذكر الله -تبارك وتعالى- وهو من الآداب المهمة التي ينبغي مراعاتها.

﴿وَخِيفَةً﴾ أي: اذكر ربك على سبيل الخيفة، وهي: الخوف، تذكر الله وأنت خائف، خائف من ماذا؟ يبيّن لك هذا الأمر قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]، أي: خائفة، ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ أي: يقدمون ما يقدمون من أذكار وصلوات ودعوات وصيام وحج وغير ذلك، وقلوبهم ماذا؟ وجلة، أي: خائفة، خائفة ألا يُقبل منهم، مثل ما بيَّن ذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- لما سألته أم المؤمنين عائشة قالت: **يا رسول الله! هل المراد بالآية الرجل يزني ويسرق ويقتل ويُخاف أن يُعذَّب، قال:** «**لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلَ يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَلَّا يُقْبَلُ**»، إذًا قلوبهم وجلة، خائفة، خيفةً يعني: يخاف ألا يُقبل منه، يخاف أن يرد عليه العمل، المؤمن يُحسن ويخاف، والمنافق يُسيئ وهو آمن. قال الحسن البصري -رحمه الله-: **جمع المؤمن بين إحسانٍ ومخافة، وجمع المنافق بين إساءةٍ وأمن**، يُسيئ وهو آمن، والمؤمن يُحسن في طاعاته وعباداته وهو خائف، يقول عبد الله بن أبي مليكة وهو من التابعين: **أدركت أكثر من ثلاثين صحابيًا، كلهم يخاف النفاق على نفسه.**

فالشاهد أن المسلم يعتني بالأذكار ويهتم بها ويكون خائفًا، وفي الوقت نفسه أيضًا راجيًا، يرجوا رحمة الله -تبارك وتعالى- ويطمع في فضله وثوابه وعظيم نواله، قال: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ عرفنا من هذا الجزء من الآية مشروعية تحريك اللسان، والعلماء يقولون: أفضل الذكر ما كان بالقلب واللسان معًا، ثم يليه ذكر القلب، ثم يليه ذكر اللسان، كما ذكر هذه المراتب ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "**الوابل الصيّب**"، فهي ثلاثة مراتب، أفضلها أن تجمع بين القلب واللسان كما هو واضح في هذه الآية ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ ثم قال: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فيه إشارة إلى حركة اللسان بالذكر، ولكن بدون ماذا؟ بدون رفع صوت، ولهذا الصحابة -رضي الله عنهم- أنكروا الذكر الجماعي، الذكر الجماعي يتنافى مع قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ الصحابة أنكروا الذكر الجماعي، يعني إذا اجتمع جماعة ثم بصوت واحد يكبِّرون، أو بصوتٍ واحد يُهلِّلون، أو بصوت واحد يُسبِّحون، أو نحو ذلك هذا أنكره الصحابة، مثل ما حصل من ابن مسعود عندما دخل على جماعة جلوس في المسجد ورجل قائم عليهم، يقول لهم: سبِّحوا مائة، فيقولون جماعة بصوت واحد: سبحان الله، سبحان الله مائة مرة بصوت واحد، ثم يقول لهم: هللوا مائة، فيقولون بصوت واحد: لا إله إلا الله بصوت واحد، صوتًا جماعيًا، فوقف عليهم ابن مسعود وقال لهم: **أما والله إنكم جئتم ببدعة ظُلمًا أو فُقتم أصحاب محمد علمًا، اختاروا واحد من الاثنين؟** لماذا قال لهم: **أو فقتم أصحاب محمد علمًا؟** لأن هذا الشيء الذي يفعلونه ما كان يفعله الصحابة، الصحابة ما كان عندهم هذا الذكر الجماعي، كانوا يذكرون الله -عز وجل- كما أمرهم الله، وكما تعلَّموا من رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ولم يكن في ذلك ذكر جماعي، فقال: **أما والله إنكم جئتم ببدعة ظُلمًا أو فُقتم أصحاب محمد علمًا،** لأن العلم الذي عندكم ما وجدناه عند الصحابة، لم نره عند الصحابة، فإما أن تقولوا: عندنا علم أفضل من علم الصحابة، أو تعترفوا بأنكم فعلتم بدعة، فماذا قالوا؟ هو خيَّرهم الآن بين

أمرين، مثل ما يُقال الآن في العامية: أحلاهما مُر، إما أن علمكم أفضل من علم الصحابة، تدّعون أن علمكم أفضل من علم الصحابة، أو أنكم جئتم ببدعة، اختاروا واحدة من هاتين، فماذا قالوا؟ قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، كثير من الناس الذين يمارسون أمور خاطئة تسأله يقول: والله ما أريد إلا الخير، ما أردت إلا ذكر الله، ما أردت إلا ثواب الله، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، فماذا قال لهم؟ قال: **وهل كل من أراد الخير أدركه**؟! ليس كل من أراد الخير يُدركه، الذي يُدرك الخير؛ الذي يتبع سُنَّة إمام الخير –عليه الصلاة والسلام–، أما أن يركب الإنسان رأسه، أو يفعل كيف شاء، ولا يُقيم للسنة وزنًا، ثم يُريد لنفسه الإصابة؛ فهذا لا يمكن.

الشاهد أن الآية فيها الرد على من يمارسون الذكر الجماعي وهذا لا مستند له في الشرع، بل نصوص الكتاب والسنة تدل على أن هذا الأمر غير مشروع، وكما عرفنا الصحابة –رضي الله عنهم– وأرضاهم أنكروا ذلك.

ثم قال: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ وهذا هو موضع الشاهد من إيراد الآية هنا، ﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ الغدو: هو ما عرفناه قريبًا: الصباح الباكر قبل طلوع الشمس، والاصال: ما بين العصر إلى المغرب، ثم ختم –تبارك وتعالى– الآية بقوله: ﴿وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ تحذيرٌ من ضد الذكر وهو: الغفلة.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ [غافر:٥٥].

(الشرح)

ثم أورد قول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾، وهذه في معنى الآيات السابقة، فيها الأمر بين الجمع بين ذكر الله –تبارك وتعالى– في أول النهار وهو: الإبكار، وآخر النهار وهو: العشي، يُقال له: الاصال، ويُقال له: العشي، ويُقال له ما قبل الغروب، كما في الآية الآتية.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩].

(الشرح)

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ هذا ذكر الصباح، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ هذا ذكر المساء.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:٥٢].

(الشرح)

وهذه الآية تدل على الحالة التي كان عليها صحابة النبي –عليه الصلاة والسلام–، الحالة التي كانوا عليها أنهم يدعون ربهم بالغداة والعشي، يعني: عندهم محافظة على الذكر والدعاء في هذين الوقتين الفاضلين، والآية نزلت في أنه كان نفر من المشركين استهانوا بأصحاب محمد –عليه الصلاة والسلام– وقالوا: أصحابه فلان، وفلان، وفلان، ولو أبعد هؤلاء عنه لكنَّا معه أو نحو ذلك، فقال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يعني: يفعلون هذه الأفعال يطلبون بها وجه الله –سبحانه وتعالى–.

الشاهد من الآية أن فيها دلالة من لحال الصحابة، وأنهم -رضي الله عنهم- وأرضاهم لديهم محافظة ورعاية وعناية بذكر الله -تبارك وتعالى- في هذين الوقتين الفاضلين؛ الغداة والعشي.

وفي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ فيه تنبيه على الإخلاص، وابتغاء وجه الله بالعمل، وأن الذاكر إن لم يكن مخلصًا في ذكره لربه مبتغيًا به وجهه؛ لا يقبله الله منه، حتى لو ذكر الله -عز وجل- بأعدادٍ لا تُحصى، وبأرقامٍ لا تُستقصى لا يقبلها الله منه إن لم يكن يبتغي بها وجه الله -سبحانه وتعالى-، ولهذا جاء في الحديث القدسي أن ربَّ العالمين قال: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»، فهو -سبحانه وتعالى- لا يقبل من العمل إلا الخالص، والخالص هو الذي يُبتغى به وجه الله -تبارك وتعالى-.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١].

(الشرح)

﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ أي: زكريا، ﴿أَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ يعني: إلى قومه، أي: أشار إليهم لأنه جعل الله -عز وجل- له آية، وهي أن لا يُكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًا، ففي ذلك الوقت أوحى إليهم أي: أشار إليهم، الإيحاء المراد به هنا: الإشارة، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ نستفيد من هذه الآية؛ أن هذه شريعة عند الأنبياء، المحافظة على ذكر الله -تبارك وتعالى- أوَّل النهار وآخر النهار، هذه شريعة وسنة ماضية عند الأنبياء، ونبي الله زكريا كما في هذه الآية أوحى إلى قومه، أي: أشار إلى قومه، ﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾ أي: الله -جل وعلا-، ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، والبكرة: أول النهار، والعشي: آخره.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩].

(الشرح)

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾، فيه الأمر بتسبيح الله -تبارك وتعالى- في هذا الوقت، قال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: جزءٌ من الليل سبِّح فيه الله -جل وعلا-، ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾: أي الوقت الذي تُدبر فيه النجوم وهو آخر الليل.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم:١٧].

(الشرح)

قال: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أيضًا فيها ذكر هذين الوقتين للتسبيح، ولذكر الله -تبارك وتعالى- في الصباح والمساء ﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: أوَّل النهار وآخر النهار.

(المتن)

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤].

(الشرح)

ثم ختم بهذه الآية الكريمة، وفيها التنصيص على طرفي النهار، قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ طرفي النهار، وإقام الصلاة، أي: الصلاة المعروفة ثم يستتبع ذلك من ذكر لله -تبارك وتعالى- في هذين الوقتين. ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ يعني: الصلاة

في أول النهار وفي آخر النهار، في أول النهار صلاة الفجر، وآخر النهار صلاة العصر، وهي الصلاة التي قبل الغروب، قبل غروب الشمس، وما يتبع الصلاتين من وقت فاضل لذكر الله -تبارك وتعالى- إلى ما قبل طلوع الشمس في أول النهار وإلى ما قبل غروبها في آخره.

﴿وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: ساعات من الليل ووقتٍ من الليل، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهذا فيه ثواب ذكر الله -تبارك وتعالى- وما يترتب عليه من آثار، قال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: أن هذه حسنات عظيمة وطاعات جليلة يترتب عليها إذهاب السيئات وتكفير السيئات، وقد مرَّ معنا أحاديث عن النبي ﷺ بهذا المعنى.

(المتن)

وقال أبو هريرة -رضي الله عنه-: قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ». خرَّجه مسلم.

(الشرح)

لما أنهى المصنِّف -رحمة الله عليه- ذكر الأدلة من القرآن الكريم الدالة على الترغيب في ذكر الله -تبارك وتعالى- في هذين الوقتين الفاضلين؛ شرع بإيراد النصوص الدالة على أنواع الأذكار التي تُقال في هذين الوقتين الفاضلين.

وبدأ أول ما بدأ بالتسبيح، ولعل السبب في ذلك هو أن أكثر النصوص فيها التنصيص على التسبيح بحمد الله، مثل ما مرَّ معنا في آيات كثيرة: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤٢]، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩]، ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١]، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم:١٧]، فالتسبيح نُصَّ عليه في نصوص كثيرة، ولعله لأجل ذلك بدأ المصنف به -رحمه الله- فأورد حديث أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ**» يعني: في الصباح يقول: **سبحان الله وبحمده** مائة مرة، وفي المساء أيضًا يقول: **سبحان الله وبحمده** مائة مرة، تسبيح بحمد الله -تبارك وتعالى- في أول النهار مائة مرة، ثم مثل ذلك في آخر النهار، قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ**»، هذا يدل على فضيلة عظيمة جدًا، وكبيرة لمن كان يُحافظ كل يوم على قول: **سبحان الله وبحمده** في الصباح مائة مرة، **وسبحان الله وبحمده** في المساء مائة مرة، فمن جاء يوم القيامة محافظًا هذه المحافظة كل يوم على هذا الذكر؛ فإنه لا يأتي يوم القيامة أحدٌ بأفضل مما جاء به، هذه فضيلة عُظمى وكبيرة جدًا لمن يُحافظ على هذا الذكر، «**لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**» قوله: «**أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**» أي: بأنواع العبادات والطاعات، يعني: فضله بالطاعات الأخرى والعبادات المتنوعة من صلاةٍ وصيامٍ وذكرٍ وتسبيحٍ وتهليلٍ وغير ذلك.

فهو يُحافظ على هذه الأذكار ويزيد عليها أعمال البر الأخرى الواسعة، فـ«**لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**».

ثم هنا ينبِّه العلماء ويؤكدون على رعاية الرقم الذي جاء في الشرع وله حِكمة، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «**مِئَةَ مَرَّةٍ**» فتعد مائة مرة، «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**» تعدُّها بيدك كما كان -عليه الصلاة والسلام- يعد التسبيح بيده، وتعوِّد نفسك على ذلك، تعدُّها بيدك مائة مرة، وعدُّها باليد ليس مُعضلة، أمرًا من أسهل ما يكون، يعني لو عددتها بيمينك على سبيل المثال وقُلت بيمينك: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله،

سبحان الله، فتحٌ وغلق، كم بها؟ عشر، تحسب باليد الأخرى واحدة، ثم عشر أخرى وتحسب ثانية، ثم عشر أخرى وتحسب ثالثة، إلى أن يتم في يدك عشر فتمت مائة، ليست عملية معضلة أو صعبة أو شاقّة أو يقع فيها خطأ، مسألة سهلة جدًا، ولا تحتاج لا لآلة، ولا لسبحة، ولا لخرز، ولا أن نجمع أمامنا نوى أو حصى، ما يحتاج الأمر، الأمر سهل ونعد بيدنا كما كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يعدُّ بيده، يقول أنس أو غيره من الصحابة: **رأيت النبي ﷺ يعقد التسبيح بيده، أو بيمينه**، فهذه السنّة يعقدها بيده، وهي مسألة سهلة جدًّا ويسيرة وليس فيها شطط ولا مشقة وليست بمعضلة.

قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ**»، نبهت هنا على رعاية هذا العدد، والشارع له حكمة في هذا العدد، فنعد مائة، وإذا ختمت المائة وأكملتها وأنت لا تزال ترغب في التسبيح والتهليل والتذكير؛ هل تُمنع من ذلك؟ الباب مفتوح، أمامك الباب مفتوح للذكر المطلق لأن هناك ذكر مُطلق وهناك ذكر مُقيَّد، المقيَّد تأتي به مقيّد كما جاء، قال لك: مائة، لا تقل: أنا سآتي بمائة وعشرة أفضل وتعد مائة وعشرة، هذا خطأ، الشارع لما نصَّ على المائة له حكمة في ذلك، ولما نصَّ على ثلاثة وثلاثين تكبيرة وتسبيحة وتحميدة أدبار الصلوات له حكمة في ذلك، فتأتي بها كما جاءت، ثم إذا كانت عندك بعد ذلك رغبة في الزيادة فباب الذكر المطلق مفتوح، سبّح ما شئت، وهلّل ما شئت، واحمد ما شئت، واذكر الله -سبحانه وتعالى- بما شرع ما شئت، الباب مفتوح، لكن لا تقل ابتداءًا: سأعد مائة وخمسين كل يوم، أو أعد مائة وعشرين، مائة ما تكفيني، هذا من الخطأ، التزم بالمشروع ثم بعد ذلك اذكر الله -عز وجل- الذكر المطلق بما شئت، فهذا أمر ننتبه له.

أمر ثاني أيضًا ننتبه له: عندما نأتي بهذا التسبيح أن نأتي به ونحن نستشعر معناه، يعني: لا نتعامل مع هذه الأذكار كألفاظ مجردة نرددها بألسنتنا دون أن نستحضر معانيها، وأن نقف مع دلالاتها، والذي ينبغي وهو خير الذكر أن يكون ذكرك لله بقلبك ولسانك، لسانك يُسبِّح بحمد الله وقلبك يُقدِّس وينزِّه ويُثني على الله، فتجمع بين الذكر بالقلب واللسان، باللسان تقديسًا وتنزيهًا وثناءً وتعظيمًا لله -تبارك وتعالى- بالقلب، وباللسان تسبيحًا وتحميدًا، **سبحان الله وبحمده**، فلا يكون تعاملك مع هذه الأذكار تعاملًا مع ألفاظ دون استشعارٍ للمعاني والدلالات.

(المتن)

وخرَّج أيضًا عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ».

(الشرح)

ثم أورد المصنّف -رحمه الله- عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- في هذا الذكر الذي كان يواظب عليه نبينا ﷺ كل يومٍ في الصباح والمساء، يقوله في الصباح ويقوله في المساء، يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: **كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا أَمْسَى**، إذا أَمْسَى يعني: إذا دخل وقت المساء، وقوله في آخره: «**وَإِذَا أَصْبَحَ**» يعني: إذا دخل وقت الصباح، ووقت الصباح عرفناه، ووقت المساء، يعني: أذكار المساء أيضًا عرفناه، فكان -عليه الصلاة والسلام- إذا أمسى يأتي بهذا الذكر المبارك.

يقول: «**أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ**»، «**أَمْسَيْنَا**»: أي: نحن دخلنا في المساء، «**أَمْسَيْنَا**» أي: دخلنا في هذا الوقت وقت المساء، وهنا تستشعر نعمة الله عليك بأنك أمسيت، أمسيت بصحة وبعافية، أمسيت بنعمة من الله -تبارك وتعالى- فتستشعر مِنَّة الله عليك، أُناس كانوا معك في هذا اليوم ولم يدركوا المساء، فأنت أمسيت، منَّ الله عليك بالمساء، ويسَّر لك أن تُمسي بصحة وبعافية، فأنت تُثني على الله وتُقر بنعمة الله عليك، تقول: «**أَمْسَيْنَا**» يعني: بفضل من الله ومنٍّ حصل لنا ذلك، «**أَمْسَيْنَا**».

«**أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ**» يعني: وأمسى الملك كائن لله، والملك شأنه كذلك هو كائن لله -تبارك وتعالى-، والمساء لله والصباح لله والأوقات كلها لله، ولكن قولك: «**وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ**» هذا إقرارك أنت، وإيمانك بربوبية الله -سبحانه وتعالى-، وأن الأوقات بيده، يُقلِّب الليل والنهار، فهذا إقرارك أنت، وإلا المساء لله، والصباح لله والأوقات كلها له -سبحانه وتعالى-، لكن قولك هنا: «**وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ**» هذا إقرار منك واعتراف وإيمان بربوبية الله -سبحانه وتعالى- وتصرُّفه، وأن الأوقات بتصرُّفه وتدبيره -سبحانه وتعالى-.

«**أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ**» تحمد الله -عز وجل-، تحمد الله -سبحانه وتعالى-، وهنا حمدك لله؛ حمدٌ له سبحانه على ربوبيته لكونه هو المتصرف، المدبر، الخالق، المقلِّب لليل والنهار، تحمده على ذلك، وأيضًا تحمد الله على نعمته عليك أنت، حيث منَّ الله عليك بأن أمسيت صحيحًا معافًا مسلمًا مؤمنًا، فتحمد الله -تبارك وتعالى- فأنت تحمد الله على أسمائه وصفاته، وتحمد الله على نعمه وعطاياه وهباته.

قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»، بعد ذاك الإقرار جاء بكلمة التوحيد: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»، وهنا يا أخوان نُلاحظ ملاحظة وأود أن ننتبه لها، سنلاحظ أن كلمة التوحيد: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» ستمر علينا كثيرًا في الأذكار المتنوعة، تجدها لا تُفارقك في أكثر الأذكار، وهذا فيه فائدة عظيمة ما هي؟ أهمية كلمة التوحيد، وأنها روح الدين وأساسه ولبُّه وغاية مقصوده، ولهذا تجدها تتكرر معك كثيرًا في الأذكار والدعوات المشروعة في الأذكار في الصباح والمساء، وفي غير ذلك من الأوقات.

«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»، سبق أن مرَّ معنا قريبًا الكلام على معنى هذه الكلمات المباركة.

ثم قال: «**رَبِّ أَسْأَلُكَ**»، «**رَبِّ**»: أي: يا ربي، يسأل الله ويناديه بربوبيته -سبحانه وتعالى-، وبدأت المناداة بعد الإقرار السابق وإعلان التوحيد، وهذه وسيلة بين يدي المسألة، المسألة هي: «**أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ**»، لكن قبل إتيانه بالمسألة جاء بوسيلة مباركة وهي الإقرار بربوبية الله -سبحانه وتعالى- وتصرُّفه، وإعلان التوحيد له -سبحانه وتعالى-، ثم بعد ذلك بدأ يسأل، قال: «**رَبِّ أَسْأَلُكَ**» أي: أطلب منك، «**خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ**» أي: الخير الذي كتبته في هذه الليلة، وما سينزل فيها من خيرات وبركات، خيراتٍ دنيوية وخيراتٍ دينية، خيرات دنيوية من صحة وعافية وأمن إلى غير ذلك، وخيرات دينية من ذكر وعبادة وصلاة وقيام ليل وغير ذلك، كله داخل تحت قولك: «**خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ**»، فأنت تسأل الله -عز وجل- أن يكتب لك «**خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ**» سواءً من الخير الديني أو الخير الدنيوي، الخير الديني: من عبادة وذكر وقيام ليل وقراءة قرآن وغير ذلك، والخير الدنيوي: الأمن والعافية والصحة والرزق وغير ذلك.

«**وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا**» يعني: خير ما بعد هذه الليلة من الأوقات الآتية والليالي القادمة.

«**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ**» يعني: من شرٍّ كتبته في تلك الليلة فأن تقيني من ذلك، وأن تُسلِّمني منه وأنت تُعيذني منه، تستعيذ بالله -تبارك وتعالى- من الشر الواقع، أو النازل، أو الكائن في تلك الليلة، فتسأل الله أن يحفظك وأن يقيك من ذلك.

«**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا**» أي: من الليالي والأوقات. «**رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ**» وهذا تعوُّذٌ بالله -تبارك وتعالى- من الكسل، والكسل: هو عدم النهوض لفعل الأمر النافع مع القدرة عليه، يعني: عنده قدرة، ولكنه ما يفعل، للكسل الذي يُخالطه، فالكسل: عدم النهوض لفعل الأمر النافع مع القدرة عليه، أما إذا كان غير قادرٍ على فعل الأمر فهو يُسمَّى ماذا؟ يُسمى: عجزًا، وهذا هو الفرق بين العجز والكسل، الكسل: هو ألا يفعل الإنسان الأمر النافع وهو قادر عليه بسبب الكسل الذي هو فيه، أما إذا كان غير قادر فهذا يُسمى عجزًا.

قال: «**أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرْ**» أي: السوء الذي يلحق كثير من الناس حال كبرهم عندما يهرم الإنسان، عندما يُرد إلى أرذل العُمر، ففي هذه الحالة يُصاب كثير من الناس فيها بسبب الكِبر بسوءٍ في كبره، فيتعوَّذ بالله -تبارك وتعالى- من ذلك، وأعوذ بك من سوء الكِبر، يتعوَّذ بالله من سوء الكبر، يعني: إن فسحت في أجلي وأطلت في عمري؛ فأعذني من سوء الكِبر، أن أُردَّ إلى أرذل العمر، يعني: ما يحصل للإنسان في حال كبره، وضياع عقل بعض الناس، وحصول أمور وتصرفات وأعمال تكون منه في سوء الكبر، فيتعوَّذ بالله -تبارك وتعالى- من ذلك.

قال: «**رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ**»، خصَّ هذين العذابين من بين أنواع الأعذبة الكثيرة لشدتهما وفظاعتهما، عذاب القبر الذي هو أول منازل الآخرة، ومن وُقي من عذاب القبر وُقي مما بعده -نسأل الله أن يُعيذنا وإياكم من عذاب القبر-، ومن وُقي من عذاب القبر وُقي مما بعده، ولهذا خصَّه هنا بالذكر قال: «**وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ**» يتعوَّذ بالله -تبارك وتعالى- من أن يُعذَّب في القبر، «**وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ**» وعذاب النار أشدُّ وأبقى، فخصَّ هذين العذابين لشدتهما وخطورتهما وفظاعتهما، فخصَّهما بالذكر من بين سائر أنواع العذاب الذي يقع.

قال: «**وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا**»، «**وَإِذَا أَصْبَحَ**» يعني: إذا دخل وقت الصباح، «**قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا**» إلا أنه يقول ماذا؟ «**أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ**» إلى آخر الدعاء.

ونسأل الله -جل وعلا- التوفيق والسداد، والهداية والرشاد، والإعانة على كل خير.